✝

إيبارشية أيرلندا وإسكتلندا
وشمال شرق إنجلترا وتخومها
كنيسة السيدة العذراء والشهيدة دميانة
دبلن - أيرلندا

يعقوب البرادعى



من الآباء السريان

✝

سلسلة آباء الكنيسة

إختوس IXΘYΣ

يعقوب البرادعى

JACOB BARADAEUS

إعداد

القس أثناسيوس چورج

اسم الكتـــاب : يعقوب البرادعى ـ من الآباء السريان
إعــــــداد : القس أثناسيوس چورچ
الطبـــعـــة : الأولى - ١٩٩٩
المطبـــعـــة : مطابع كونكورد، ت: ٢٠٥٧٩٠٢ - ٢٠٥٧٩٠٣
رقم الإيداع : ٩٩/١٧٤٥٢



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازه المرقسية



نيافة الأنبا انطونى
اسقف ايرلندا واسكتلندا وشمال شرق انجلترا

مقدمة

إن الآباء فى إظهارهم للحقيقة الإلهية كانوا مفسرين للتدبير الإلهى لخلاص الإنسان أى عمل الثالوث القدوس لأجل خلاص البشرية ، وعاشوا الحقيقة كاملة وعميقة بلا إزدواجية فكانت عقيدتهم سليمة وحياتهم سليمة ايضاً ، لذا اعتبروا من الجيد صياغة هذه الخبرة العملية بصفة خاصة وكل تعاليمهم التى تعلموها وعاشوها مع الروح القدس .

وقد كان للكنيسة منذ البدء رؤيتها الواضحة للآباء الحقيقيين الذين اعطوا حياتهم للمسيح وعلموا رعيتهم وأولادهم بلا حساب فكانوا نوراً فى العالم بطريقة حياتهم وسيرتهم ، فى عطائهم ونسكهم ، فى سخائهم وفضيلتهم ، بالإضافة إلى أنهم تركوا ثروتهم القلبية والعقلية فى دفاعاتهم وعظاتهم وكتاباتهم والتى صارت لنا كنزاً معطى باستمرار .

فحقيقة إستنارة الآباء بالروح القدس هى شئ لا يقبل النقاش وحقاً تكلم الآباء بالروح القدس ، وكان من نتيجة ذلك أن الكنيسة أخذت تعاليمهم الصحيحة وادخلتها على التقليد

كمكمل له ، بعد أن أفرزتها ونقحتها المجامع المسكونية وتأكدت أنها مستقيمة ومتفقة تماماً مع التسليم الكتابى والآبائى والعقيدى.

والآباء القديسون لم يتكلموا عن اللاهوتيات من نفسهم ولأجل نفسهم وإنما تكلموا من النعمة التى أُعطيت لهم من الكنيسة ولأجل الكنيسة ، لذا كتاباتهم اللاهوتية وأقوالهم إنما هى تقدمة يقدمونها بطريقة مباشرة وغير مباشرة كتفسير للكتاب المقدس الموحى به من الله أبينا السمائى .

والكنيسة فى كل عصر تقدم شهادة تواكب الزمان والمكان الذى تحياه ، فقدمت الشهداء فى عصور الإضطهاد ، وقدمت المعترفين وأبطال الإيمان فى فترات البدع والهرطقات ، وقدمت الفلاسفة العلماء فى عصر المجامع ، وعندما ظهر الترف فى العصر القسطنطينى قدمت رجال النسك الرهبان والعموديين ولباس الصليب .

ومن بين سحابة الشهود هذه نقدم سيرة القديس يعقوب البرادعى نسمة الصباح المنعشة لتمتلئ مداخل وجوانب التنفس

الروحية للمؤمنين الأرثوذكسيين بنسمات العمق اللاهوتى الروحانى النسكى والتى فاضت بها أنفاس هذا المعلم والمدافع المسكونى فتغذى دماءنا وأعضاءنا بأكسچين الإيمان النقى لننمو روحياً ونتقوى فى جهادنا وننهض فى خدمتنا راسخين فى إيمان وعقيدة آباء الكنيسة الأولى .

اشتهر هذا الأب الناسك بزهده حتى أنه لم يلبس سوى خرق البراذع فسُمى البرادعى ، واشتهر ايضاً بدفاعه عن الإيمان الأرثوذكسى يفتقد الآباء البطاركة الذين فى السجون ، ويزور البلاد وهو فى ثياب الشحاذ يطوف ليرعى ويغرس ويثبت ويرسم القسوس والأساقفة ، ويحذر من التعاليم الفاسدة الهرطوقية ، ويدبر الكنائس متمسكاً بتعاليم الآباء أثناسيوس الرسولى وكيرلس السكندرى وساويرس الأنطاكى .

زار مصر ساعياً إلى إعادة السلام بين كنائسها وكنائس سوريا ، وإلى نمو الكنائس الأرثوذكسية ، وقد شهد المؤرخون بأنه قد تنيح هنا فى مصر عام ٥٧٨م ، فى عهد بابوية البابا دميان الـ ٣٥ ... وكان جملة من قام بسيامتهم من الكهنة والشمامسة مائة ألف قسيس وشماس وعشرين أسقفاً ومطراناً وبطريركين ، حتى أن

الأرثوذكسيين اللاخلقيدونيين تسموا باليعاقبة نسبة إليه من كثرة جولاته وإحيائه لأسقفيات الكرسى الأنطاكى .

وترجع أهمية القديس يعقوب فى الكنيسة الأنطاكية إلى أنه هو الذى حافظ على استمرار العقيدة الأرثوذكسية أمام رياح إضطهاد الأباطرة الموالين لعقيدة مجمع خلقيدونية (٤٥١م) بعد أن مرت فترة هرب فيها القديس ساويرس الأنطاكى إلى بلادنا مصر وبقى بها إلى أن تنيح ، حيث كنيستنا القبطية (المصرية) التى ترتبط بكنيسة أنطاكية بوحدة العقيدة .

ويأتى القديس ماريعقوب البرادعى من بين مشاهير أعلام الكنيسة الأرثوذكسية السريانية ، والذين من بينهم القديس مارافرآم السريانى الشماس اللاهوتى الذى فتح كنوز علمه ومواهبه وشرح الكتاب المقدس بغزارة وكتب الأشعار الإلهية ودافع عن الإيمان النيقاوى الأرثوذكسى ، وكان من بينهم ايضاً رابولا الرسام السريانى الذى نسخ الإنجيل المقدس وزينه بالصور الملونة بريشته المصورة لحياة السيد الرب ، ومنهم ايضاً القديس ماراسحق الكبير الذى ترك كتابات نثرية عميقة حول الأنظمة النسكية ، ومارفلكسينوس العالم والمدافع المشهور ، والقديس يعقوب السروجى

الشاعر واللاهوتى الذى فسر وكتب ميامر ومقالات وشروحات لاهوتية ثمينة ، وكذلك يوحنا الأفسسى المؤرخ اللامع... وكثيرون من الأعلام .

فإذا اُعتبرتِ ثقافة اليونان حكيمة وثقافة العرب بيانية ، فإن ثقافة السريان تعد دينية ، فقد تضمن التراث السريانى ذخائر أدبية سريانية منها الأداب الكتابية والطقسية والليتورجية واللاهوتية والتاريخية والشعرية والنقلية .

الأمر الذى دفع الأدب السريانى المسيحى لينطلق إنطلاقاً قوياً ، وجعله يبرز كند إزاء الأدبين اليونانى واللاتينى ، العملاقين الغنيين عن التعريف ، أدباً سريانياً يحمل فكراً لاهوتياً أصيلاً وعمقاً روحياً وتفسيراً عميقاً ، وكان الفضل فى هذا الإزدهار الأدبى يعود إلى مركزين هامين هما نصيبين والرها .

واليوم يقوم أبونا **المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم** متروبوليت حلب بنهضة أبائية فى ترجمة ونشر التراث السريانى وفى إعادة الحياة والسير على نهج الآباء ، معتزاً بالتراث الخالد مشجعاً ومنمياً الذين يخدمون رسالة الفكر المسيحى ، فصارت

إيبارشية حلب تعيد مجد القرون الأولى ، منارة أرثوذكسية فى الشرق المسيحى ، يجلس على كرسيها راع عظيم وعالم مفضال يقدم للحضارة العالمية إنتاجاً فكرياً وتراثياً يعزز شأن كنيسة المسيح فى كل المجالات .

وإننى أذكر بكل الخير محبة وتشجيع جناب المتروبوليت غريغوريوس يوحنا على مساعدته الأبوية العلمية القيمة التى استقبلنى بها فى مدينة حلب مقر كرسيه ، واشكر روحه المسكونية الغيورة وتوجيهاته الثمينة وما زودنى به من مراجع لازمة فى مجال إحياء التراث ومبادرته الكريمة لتنسيق الجهود فى الترجمة والنشر ، فليعوضه الرب عن أعماله وليديم حياته سنين كثيرة .

نقدم هذه الدراسة ضمن سلسلة **اختوس** ΙΧΘΥΣ وقد اصدرنا من قبل سيرة وأعمال الأب افراهات السريانى ، فالكنيسة السريانية شقيقة لكنيستنا القبطية ، حتى أن الكنيسة القبطية لم تقصر الكرسى السكندرى على الأقباط ، فكان من بين بطاركة الاسكندرية من كانوا سرياناً:

١) البابا سيمون الأول (٤٢) وهو سريانى أتى إلى مصر وترهب فى دير الزجاج وتنيح بسلام عام ٧٠٠م.

٢) البابا ابرآم بن زرعة (٦٢) وهو سريانى ونُقل فى عهده جبل المقطم وتنيح عام ٩٧٨م.

٣) البابا مرقس الثالث (٧٣) وهو سرانى ، وتنيح عام ١١٨٩م.

٤) البابا يؤانس العاشر (٨٥) وهو سريانى وتنيح عام ١٣٦٩م.

فليكن ذكرهم إلى الأبد ولتكن بركتهم وشفاعتهم معنا، وصلوات أبينا البابا البطريرك **الأنبا شنوده الثالث** بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧ ، وشريكه فى الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المكرم **الأنبا أنطونى** أسقف أيرلندا وإسكتلندا وشمال شرق إنجلترا وتوابعها.

وللثالوث القدوس كل المجد والكرامة
من الآن وإلى الأبد. آمين.

القس أثناسيوس چورچ
دبلن – أيرلندا
١٨-٧-١٩٩٩

القديس يعقوب البرادعى

حداثته [١]

وُلد القديس ماريعقوب البرادعى فى مدينة تلا [٢] نحو سنة ٥٠٠م ، من والدين ورعين أرضعاه اللبن العديم الغش وتعلم علوم البيعة المقدسة ، صائراً من النابغين فى اللغتين السريانية واليونانية .

ولما بلغ السن ، أخذه أبواه إلى دير ماراسطراطليس المعروف بدير المقطع «فسيلتا» ، وهناك تتلمذ على الأب ماراسطاثاوس الذى ألبسه الإسكيم الرهبانى ، فعاش حياة نسكية متحلياً بالفضائل والتداريب الروحية .

دوام على النسك حتى أنه كان يرتدى ثوباً ينقسم إلى قسمين ، يكتسى بأحدهما ويلتحف بالآخر ، ولم يبدله صيفاً أو

(١) سيرته بقلم المؤرخ ماريوحنا الأفسسى .
(٢) هى تل موزلت بالسريانية ، وسميت بقسطنطينية الصغرى ، أما اليوم فتُعرف باسم ويرانشهر وهى فى تركيا .

شتاءً ، وكلما تمزق فيه شئ رقعه حتى أضحى وكأنه بردعة بالية ومن هنا لُقب بـ «البرادعى» .

وبعد زمن يسير رُسم شماساً ، فتسربل بيقظة الملائكة وهدوئهم وعشق حياة التسبيح والتمجيد .

أقبل إليه كثير من المرضى ومن الملتمسين البركات ، الذين وفدوا من الحدود الفارسية ، فشفى كثيرين وعزاهم ، ولما كان العمق ينادى عمق قد دعته النعمة الإلهية إلى رتبة القسيسية ثم إلى رئاسة الدير .

وصار سبب بركة كبيرة للمؤمنين فى زمانه وتحرر كثيرين بصلواته من أسر الفرس ، فبلغت سيرته مسامع الملوك والأمراء فى أرجاء عديدة ، حتى أن التاريخ يروى عن حادثة ظهوره للحارث بن جبلة ملك قبائل الغساسنة وشفاء قبائله من وباء الجوع والمحن بصلوات ماريعقوب البرادعى .

فى القسطنطينية

فى سنة ٥٤٣م اختارت النعمة الإلهية الراهب يعقوب البرادعى ليذهب إلى مدينة القسطنطينية لتشجيع الآباء القديسين والمؤمنين ، بعد أن توجه إلى هناك مئات من الرهبان والأساقفة الأرثوذكس سنة ٥٣٣م لبحث قضايا الإيمان فى مؤتمر يجمعهم فى خلقيدونية ، وكان من بينهم البطريرك ساويرس الأنطاكى الكبير وهو الذى رجع إلى مصر بعد سنة ونصف يائساً من الحوار مع الخلقيدونيين .

هذا ويروى التاريخ أن القديس ساويرس الأنطاكى قد ظهر فى رؤيا للقديس يعقوب البرادعى وسلمه فيها عصا الرعاية قائلاً: «**قم وامض مع جماهير المؤمنين وارع خرافنا وصنها من الذئاب**» فحمل ماريعقوب إنجيلاً صغيراً وانطلق مشياً على الأقدام إلى القسطنطينية ومعه رهبان متبحرين فى العلوم الكنسية .

وما إن وصل القديس إلى العاصمة حتى انتشر فيها الخبر «قد أتى الأب يعقوب» فرحبت به الملكة السريانية ثيؤدورة زوجة

يوستينيان الأول ملك الروم ترحيباً حاراً ، وإذ كان الراهب يعقوب فصيحاً أديباً ، ضليعاً فى اللغتين السريانية واليونانية ، لم يستطع زعماء الخلقيدونية الصمود أمامه ، وهكذا كان ذهاب ماريعقوب إلى القسطنطينية نصرة للمعتقد السليم وعضداً للمؤمنين .

رسامة مطراناً مسكونياً

فى سنة ٥٤٣م كان عدد المؤمنين فى سوريا قد تقلص من جراء الإضطهادات العنيفة التى أثارها الخلقيدونيون عليهم ، بل لم يبق فى سوريا كلها سوى ثلاثة أساقفة أرثوذكسيون لرعاية المؤمنين ، واحد فى جبل ماردين والثانى فى الحدود الفارسية الرومانية ، والثالث كان قد ذهب إلى الاسكندرية .

لذلك ، وبعد أن تدارس الحارث بن جبلة ملك الغساسنة وبعض الآباء فى القسطنطينية وضع كنيسة سوريا المؤلم ، إلتمسوا من الملكة ثيؤدورة أن تأذن فى رسامة أسقفين لسوريا ، ومما سهل الأمر أن البابا ثيؤدوسيوس الاسكندرى كان فى سجن القسطنطينية آنذاك .

وإذ أذنت لهم ثيؤدورة الملكة ، انتخب الآباء الراهبين ماريعقوب البرادعى ومارثيؤدور ، ورسم الأول يعقوب مطراناً على مدينة الرها وسائر سوريا وآسيا الصغرى ، والثانى ثيؤدور مطراناً على الشام وبلاد العرب وفلسطين حتى أورشليم ، وكان ذلك سنة ٥٤٣م نفسها ، وتقلد ماريعقوب المطرانية المسكونية وأُوكلت إليه قضية قبول المرتدين إلى الارثوذكسية فى الشرق كله .

وهكذا قام البابا ثيؤدوسيوس البطريرك السكندرى الـ ٣٣ برسامة القديس يعقوب أسقفاً ، ومن الجدير بالذكر هنا أنه لم يكن من الممكن سيامته أسقفاً بيد أساقفة من التابعين لكرسى أنطاكية لأنه لم يكن باقياً فى هذا الكرسى سوى أسقفين فقط ، والقانون الكنسى لا يسمح برسامة أسقف إلا بحضور ثلاثة أساقفة ، لذلك كانت سيامة ماريعقوب خطوة تاريخية فى إحياء كرسى أنطاكية ، مما يبرز إهتمام البطريرك السكندرى بإحياء هذا الكرسى وحرصه على نشر الارثوذكسية فى العالم .

تسلح ماريعقوب بنعمة الرعاية وأخذ يجوب البلاد فى سوريا وأرمينية وبمفيلية وفريجية وجزر البحر متفقداً الكنائس مثبتاً إياها

فى الإيمان الحق ، مدبراً أمورها ، مقيماً لها الكهنة والشمامسة ، واستطاع بذلك أن يثبت الأرثوذكسية وأن يدافع عن عقيدة الطبيعة الواحدة ، حتى دُعيت الكنيسة السريانية «**كنيسة اليعاقبة**» نسبة إليه .

وأمام غيرة ماريعقوب البرادعى الرعوية وإرشاد البابا السكندرى ثيؤدوسيوس له ، تحطمت مؤامرة الخلقيدونيين فى القضاء على الكنيسة ، فقد كانوا يبغون القضاء على الرؤساء الروحيين لها لتصبح بلا تدبير أو قيادة ، ولا يعود هناك أساقفة أرثوذكسيين بعد ومن ثم تقبل المجمع الخلقيدونى .

إلا أن القديس ماريعقوب رسم بمعاونة أساقفة مصر العديد من المطارنة لمساعدته (مطران لطرسوس ، ومطران لسلوقية الأردن وغيرهما) وقد كان يسمى كل أسقف يرسمه باسم ديسقوروس محبة منه فى القديس ديسقوروس البطريرك الخامس والعشرين من باباوات الاسكندرية والذى رفض قرارات المجمع الخلقيدونى وتنيح فى المنفى .

وفيما ذكره المؤرخ الشهير فيليب شاف عن جهاد القديس يعقوب يقول:

«يوجد اليعاقبة فى سوريا والعراق وهم ينتسبون للمطران المسكونى يعقوب المشهور بالبرادعى.. لقد كرس هذا الإنسان غير العادى نفسه منذ منتصف القرن السادس لمدة ٣٧ عاماً بغيرة لا تكل ودفاع مستميت عن عقيدة الطبيعة الواحدة ، وكان كثير الحركة دائم التجوال وسط ، مرتدياً زى شحاذ ناسكاً فى كل شئ.. لقد أحيا الكرسى البطريركى الأنطاكى ورسم الأساقفة والقسوس والشمامسة وأسس العديد من الكنائس وقضى على الإنقسامات ، وانقذ عقيدة الطبيعة الواحدة التى كانت على وشك الضياع» .

زياراته الرعوية

قام ماريعقوب بزيارات رعوية متواصلة للمؤمنين الأرثوذكسيين فى جميع أرجاء الامبراطورية البيزنطية ، من حدود المملكة الفارسية حتى القسطنطينية فالاسكندرية ، وكان يقطع فى اليوم

الواحد ما بين الثلاثين والاربعين ميلاً ، مشياً على الأقدام ، حتى مثله المؤرخون بظبى «من ظباء الصحراء» (٢صم٢ :١٨) خفيف الرجلين .

وفى زياراته الرسولية هذه ، أقام الصلوات والقداسات ليلاً ونهاراً ، وسلم أولاده الإيمان الصحيح وعلمهم عقيدة الآباء ، ودبر أمورهم الرعوية ، وعالج روحياتهم بأناة وصبر ، مشجعاً ومعزياً ومعلماً ، الأمر الذى أغاظ الأساقفة الخلقيدونيين ، إلا أن النعمة ادخرته وسترته عن أبصارهم ليحفظ وديعة الإيمان السليم المُسلم مرة من القديسين وليرعى رعية الله التى أقامه عليها .

ويذكر الرواة والمؤرخون أن ماريعقوب البرادعى لم يستعمل فى أسفاره مركوباً ، ولا حمل ذهباً أو فضة أو نحاساً أو طعاماً ، بل لم يأذن فى ذلك حتى لمرافقيه ، بالرغم من المسافات الشاسعة التى كان يقطعها كل يوم بسرعة هائلة وهو صائم ، لينقذ الرعية من فم الأسد ، مؤيداً بالعناية الإلهية التى سندته وحفظته ، حتى أن خصوم الكنيسة الذين جُندوا للقبض عليه ومعهم فرق الخيالة ، كانوا يلتقون به فى الطريق ويسألونه عنه وهم يجهلونه قائلين:

«هل رأيت هذا المضل يعقوب؟» فيدلهم هو بدوره على مكان بعيد قائلاً: «أجل لقد ذهب إلى الموضع...» والأصعب من ذلك أن يوستينيان الأول بالذات خصص مبلغاً من المال لمنْ يقبض عليه فتبارى فى هذا المضمار كثيرون من الخلقيدونيين .

ولكن «بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا» وانتفع قديسنا صاحب هذه السيرة النقية وهذه الأعمال الرسولية بنصائح ومشورات القديسين مارساويرس الأنطاكى والبابا ثيؤدوسيوس السكندرى ومارانتيموس القسطنطينى ، مواصلاً العمل الذى أؤتمن عليه بمنتهي الفحص ، مثبتاً أولاده ، متمسكاً بالقوانين الكنسية المقدسة ، مقيماً للأساقفة والرعاة بانياً كنيسة الله .

مدافع عن الإيمان الأرثوذكسى

من أهم الأحداث التى تحققت بعد رسامة ماريعقوب البرادعى مطراناً مسكونياً كان شجب مصنفات كل من: ثيؤدوروس الميصى (الموبسوبستى) (١) ، ثيودورت القورشى (٢) ، وهيبا الرهاوى (٣) الذين كان المجمع الخلقيدونى قد اعتبرهم أرثوذكسيين .

وصار قرار حرم تعاليم هؤلاء الثلاثة من أهم الدفاعات التى تدحض صميم المجمع الخلقيدونى ، ويُحسب إنتصاراً جديداً للكنيسة على الخلقيدونيين من بين الإنتصارات التى قادها وتقلدها ماريعقوب البرادعى

(١) ثيودوروس الميصى: هو معلم نسطور الذى قال: واحد هو الإله الكلمة وآخر هو المسيح ، وساوى بين المسيح وأفلاطون ومانى وابيقورس ومرقيون ، فكما يوجد أفلاطونيون ومانويون وأبيقوريون هكذا يوجد ايضاً مسيحيون .

(٢) ثيودورت القورشى: هاجم البابا كيرلس الكبير وندد بتعاليمه وطعن فى مجمع أفسس ورفض أقوال البابا كيرلس ووصفها بأنها نفاقية وسمى العذراء «والدة الإنسان» .

(٣) هيبا: تطاول على البابا كيرلس السكندرى واعتبر حروماته الأثنى عشر مشحونة بالنفاق ومضادة للإيمان القويم .

رسامته لبطاركة أنطاكية

قام ماريعقوب البرادعى فى سنة ٥٤٣م برسامة سرجيس التلى بطريركاً فى أنطاكية ، فقام بأعباء رئاسة الكنيسة خير قيام ، إلى أن انتقل فى سنة ٥٤٦م إلى المجد الأبدى .

فترملت بعده كنيسة أنطاكية أربع سنوات ، كان من خلالها ماريعقوب يتدارس أمر تعيين خلف له ، بل أن البابا ثيؤدوسيوس السكندرى نفسه كان يفكر فيه تفكيراً جاداً ، حتى استقر الرأى اخيراً على الأب بولس السكندرى والذى كان الكاتب الخاص للبابا السكندرى .

وأوحت النعمة الإلهية برسامته فوراً ، ليصير بطريركاً على أنطاكية بفرح روحى مطلق خلفاً للطوباوى سرجيس وللبطريرك ساويرس الذى انضم إلى القديسين .

فكانت هذه الرسامة البطريركية لمجد الله ولبنيان كنيسته ، وتسمى باسم بولس الثانى بطريرك أنطاكية ، يعاونه فى ذلك أوجين مطران سلوقية وأونوميوس مطران آمد... وفى أعقاب الرسامة كتب

ثلاثتهم إلى البابا ثيؤدوسيوس السكندرى رسالة حملها إليه اونوميوس جاء فيها قولهم:

«إن المسيح الإله الذى افتدى بدمه كنيسته المقدسة ، وقال أنه على هذه الصخرة سيبنى كنيسته ، وأن أبواب الهاوية لن تقوى عليها ، هو نفسه يحقق الآن ايضاً (وعده) كالعادة... ذلك أنه بينما كانوا هم أنفسهم (أى الأنطاكيين) يفكرون منذ أمد بعيد فى أن يقدموا إليه (أى إلى ثيؤدوسيوس) طلباً بهذا ، إذ بالعناية الإلهية تشفع فى كرسى مدينة الله الرسولى ، إلى الله الساكن فيه ليكشف له عن الشخص الذى يستحق مثل هذا المنصب ، كى يخلف سرجيوس الطيب الذكر رئيس الأحبار المنتقل إلى ربنا ، بل قل ساويرس الأنطاكى المنضم إلى القديسين معلمى الكنيسة» .

وأردفوا : «كأن (ثيؤدوسيوس) الذى يقوده روح الله قد سبق وعاين بعينى النبوة من يستحق هذا الكرسى الرسولى ، وقد شهد الجميع بأن قناعة ثيؤدوسيوس البطريرك الاسكندرى كانت من النعمة السمائية» .

أما البطريرك الأنطاكى بولس الثانى ، فكتب فور رسامته رسالة سلامية إلى غبطة البابا ثيؤدوسيوس السكندرى جاء فيها:

«سيدى القديس فى كل شئ والمغبوط ، رئيس الجهاد من أجل الحق ، والمعترف ، الأخ والشريك ، رئيس أساقفة مدينة الاسكندرية العظمى ثيؤدوسيوس» وسماه «مسكن الفضيلة بأسرها وعمود الإيمان بالمسيح وأساسه ، الشهيد والمعترف ومعلم المسكونة جمعاء المتشبه بالله» .

واعتبر البطريرك بولس الثانى أن رسالته بمثابة كتاب «الشلموت» أى صك الإيمان ، يرسله إلى البابا السكندرى ثيؤدوسيوس بصفته ممثلاً للكنيسة المقدسة الجامعة ، طالباً منه كتابة يمين الشركة وطالباً فى شخصه من جميع البطاركة الأرثوذكسيين فى كل مكان ، لأن الله سلم إليه عن استحقاق مقاليد الكنيسة المقدسة جمعاء ، إذ يستطيع بنعمة الله أن يشغل مكان هؤلاء الآخرين ايضاً ، ومنه قبل التعليم الرسولى الأبوى قولاً وفعلاً وكان له مرآة للفضيلة .

فأجابه البابا ثيؤدوسيوس برسالة سلامية رائعة ، مؤيداً فيها ومصدقاً على تلك الرسالة قائلاً أنه سيستمر فى الشركة معه بدون إنقطاع ، ثم كتب إلى ماريعقوب البرادعى وشركائه فى الخدمة رسالة قال فيها : «إلى القديسين فى كل شئ ، الإخوة والشركاء يعقوب وباقى الأساقفة الأجلاء الذين فى الشرق ، أعلن سرورى الروحى الحقيقى برسامة بولس حبيب المسيح راعياً ورئيس أحبار لكنيسة أنطاكية العظمى مدينة الله ، وهو يتقدم ليثبت كنيسة الله فى الوقت الذى فيه نُضطهد ونُعذب وبلغنا غروبُ الشمس ، لكن بالحقيقة سيدبر كل شئ وينقذ بنعمة الله سفينة المسيح وينتهر رياح البدع والتعاليم النفاقية المرة ، بعد أن استلم هذه الخدمة من فوق من أبى الأنوار» .

محاولات ماريعقوب فى الوحدة

فى سنة ٥٦٥م خلف القيصر يوستينوس الثانى يوستينيانوس ، وكانت زوجته صوفية سريانية أرثوذكسية مثل خالتها القيصرة ثيودورة العظيمة ، فدعت سنة ٥٦٦م إلى مؤتمر شبه دائم فى

القسطنطينية للتقريب بين وجهات النظر بين الآباء المتخاصمين المتجادلين ، برئاسة وحضور القديس يعقوب البرادعى وباقة من الآباء الأرثوذكسيين ، ولما أراد القديس ثيؤدوسيوس السكندرى أن يزور القيصر رحب به أجمل ترحيب واعداً إياه بأن يحقق سلام الكنيسة .

وأجمع الأرثوذكسيون على ضرورة سلام الكنيسة وأهمية وحدتها ، والحرص على أن يكف الخلقيدونيون عن إضطهادهم ، منادين كل الأديار ورؤساءها ومجامعها الرهبانية ، ليقتدى الجميع بملكنا ومخلصنا محب وإله السلام ، بإقتفاء أثار القديس كيرلس السكندرى عمود الدين الذى بالرغم من علمه الأكيد بأن يوحنا بطريرك أنطاكية كان لا يزال متمسكاً برأى نسطور ومدافعاً عنه ، إلا أنه قبله فى شركته لمجرد اعترافه بأن الطوباوية مريم هى «والدة الإله» .

وطلبوا من الملك أن يساعدهم فى تحقيق الوحدة ، وأن يُرجع الآباء المجاهدون إلى كراسيهم المستبعدين منها ، مع الاستمساك بقبول قانون الإيمان النيقاوى الواحد الذى وضعه آباء الكنيسة

المجتمعون الثلاثمائة والثمانية عشر القديسون ، والعقيدة التى أقرها مجمع الآباء المئة والخمسين فى القسطنطينية ، وبالاعتراف بميلادى الإله ، أى الميلاد الذى من الآب قبل الدهور ، والميلاد الثانى فى أخر الزمان من العذراء القديسة مريم «والدة الإله» ، وبأن الإله الكلمة الوحيد هو واحد حقاً لم يتغير بلاهوته ، وقد تألم فى الجسد ، وليس اثنين أى المسيح واحد والإله آخر ، لكنه واحد وله طبيعة واحدة من طبيعتين إلهية وبشرية ، وبحرم جميع البدع لاسيما المبتدعين: آريوس ، أونوميوس ، مقدونيوس.. مع التشديد على عقيدة الطبيعة الواحدة للإله الكلمة المتجسد.

على خطى الآباء الأولين

أقر ماريعقوب حرمان جميع رؤساء البدع وكل الذين تجاسروا أن يقسموا ربنا يسوع المسيح الواحد إلى طبيعتين ، وكل بدعة تخالف تعليم الآباء القديسين الجامعى والرسولى ، وكذلك بدعة متعددى الألهة والجواهر القائلة أن الثالوث تجسد فى شخص واحد من أقانيمه ، أولئك الذين حرمهم أباؤنا القديسون وقالوا بطبيعة واحدة متجسدة من طبيعتين للإله الكلمة ، وعلموا بأن هناك

لاهوت واحد وجوهر واحد وطبيعة واحدة للأقانيم الثلاثة فى الثالوث ، لا ثلاثة جواهر أو ثلاث طبائع أو ثلاثة آلهة .

نياحة ماريعقوب

وإنطلاقاً من غيرته على سلامة الكنيسة ووحدة الصف جاء ماريعقوب ثانية إلى الاسكندرية ، وكان يصحبه فى هذه المرة ثمانية أساقفة وكاتبه ، فلما وصلوا إلى دير رومانوس الكبير الواقع فى تخوم مصر والمعروف ايضاً بدير قسيان ، قال ماريعقوب لصحبته: «صلوا أيها الإخوة فقد اعلن لى الرب انى سأنتقل من الحياة الزمنية» .

وبعد ثلاثة أيام اسلم القديس يعقوب البرادعى روحه فى سنة ٥٧٨م ، أما الباقون فغادروا إلى سوريا حاملين رسالة تعزية من البابا الاسكندرى إلى أساقفة سوريا وكهنتها ورؤساء أديارها ، ذاكراً فيها فضائله ورعايته ودفاعه عن الإيمان وإحتماله المتاعب والشدائد والاضطهاد وتنقله من مغارة إلى مغارة وسط الجبال وفى الصحارى الموحشة .

وسماه البابا دميان السكندرى الـ ٣٥ **«صاحب الاسم العذب والمآثر الطيبة ، القديس يعقوب ، تاج الكهنة وإكليل الزهد والفضيلة وناذر البتولية منذ حداثته وأساس المؤمنين وحصن الكنيسة الجامعة»** وقال ايضاً فيه: «فضل رضى المسيح عن رضى نفسه ، ولم يكن يحيا لذاته بل للذى تألم لأجلنا ، يبذر المحبة فى القلوب ويساند الضعفاء ويضرم غيره نظير القديس بولس – فيلسوف المسيحية – من أجل المتشككين» .

وكان البابا دميان البطريرك السكندرى قد وصل إلى دير قسيان بعد نياحة ماريعقوب وعبثاً حاول أن يأخذ جسده إلى الاسكندرية إذ أبى رهبان الدير تسليمه إياه ، وهكذا وضعوه فى صندوق واحتفوا بدفنه بإكرام جزيل فى ديرهم ، ثم نقل بعد ذلك فى سنة ٦٢٢م فى عهد مارزكا أسقف تلا ليدفن فى ديره – دير فسيلتا – فى الهيكل الذى كان القديس نفسه قد شيده .

مأثره وأثاره

كان قديسنا يعقوب البرادعى عالم وعلامـة من علماء البيعة الأرثوذكسـية ، وجـاهد من أجـل التقليد الإيمانى الأرثوذكـسى جهاد رسولى ونارى على أعلى مستوى وسط زوابع وأنواء صعبة ، فكان ينطق بالعدل وفى قلبه شريعة إلهه مدافعاً عن العقيـدة المستقيمة ، راعياً شعبه بطهارة وبر ، قائداً للحوار اللاهوتى مشجعاً وحدة الكنيسة الجامعة ، مستمسكاً بتعليم الآباء الأولين .

لقد رافقته النعمة الإلهية فى زياراته وجولاته وأسفاره الرعوية ، التى تعتبرها الكنيسة من طراز رسولى كرازى ، وإذا كان الرجال يعرفون بأعمالهم ، فأعـمال القديس يعقوب البرادعى البطولية وشجاعته فى سبيل إحقاق الحق ، هى أشهر من نار على علم ، حتى أن أعدء الكنيسة أطلقوا اسمه الكريم على الكنيسة «الكنيسة اليـعـقـوبيـة» بيـد أن عروس المسيح أبت إلا أن تكون تسـمـيـة «الأرثوذكسية» اسماً لها .

وجدير بالكنيسة أن تمجد القديس الناسك يعقوب البرادعى من

أجل نسكه وتقواه ورعايته وتعاليمه التى أنارت المسكونة وأتعابه وقطرات دموعه وحبات عرقه التى روت إيماننا وثبتته .

إن منْ قـبل صـديقـاً باسم صـديق فـأجـر صـديق يأخـذ (مت١٠ :٤١) ونحن نقتدى بأعمال هذه السيرة المباركة ذاكرين مدبرينا الذين كلمونا بكلمة الله مقتدين بإيمانهم (عب١٣ :٧) طالبين صلوات وشفاعات وطلبات صاحب هذه السيرة العطرة الذى ببركته شفى كثيرين وعـم السـلام ربوع البلاد وتمت على يديه معجزات وعجائب عديدة .

إنه بالحقيقة صنع سلاماً كاملاً بالتعب والسعى اليقظ والنسك كملاك يسـبح ويصلى بلا فـتور ، وكراعى دؤوب رسـم بتفويض البابا ثيؤدوسيوس السكندرى بطريركين لأنطاكية وسبعة وعشرين مطراناً ، ومئة ألف من القسوس والشمامسة .

أما عن أعماله القلمية القيمة فهناك ليتورچيا أولها: «اللهم يا أبا السلام الكلى والقداسة» ورسائل عامة إلى الأساقفة والكهنة ذكـرت فى سـيرته المطولة ، ورسائل أرسلهـا إلى القـسطنطينية

وأنطاكية وغيرها من البلدان ، ورسائل أخرى خاصة عالج فيها بعض المشاكل البيعية وينادى بتعليم البابا ثيؤدوسيوس السكندرى واثناسيوس الكبير وكيرلس عمود الدين وساويرس الانطاكى .

وينادى الرهبان والرعاة محذراً إياهم من السقوط فى البدع ويحثهم على قبول المقالة التى وضعها القديس ثيؤدوسيوس السكندرى ضد مثلثى الالهة .

بركته تكون معنا ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين .

المراجع

١) ماراغناطيوس يعقوب الثالث: المجاهد الرسولى الأكبر ماريعقوب البرادعى .

٢) ماراغناطيوس يعقوب الثالث: تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية

٣) أغناطيوس افرام الأول برصوم: اللؤلؤ المنثور .

٤) يوحنا الأفسسى: سير النساك الشرقيين .

٥) الشماس منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية

6) Philip Schaff; *History of The Christian Church*, Vol.3.

7) Cross; *Oxford Dictionary of The Christian Church*

الفهرس